

المكتب المفيد
الإسلام ديننا
دُروس قرآنيَّة
الثاني الإعدادي
لجنة المناهج
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م





المحتويات

مقدمة لجنة المناهج

بسم الله الرحمن الرحيم

نظـرًا للحاجة العاجلة إلى مناهج تُلبّـي متطلبات مشاريع التعليم الدينـي الإسلامي لجميع المراحل -ابتدائـي، إعـدادي، ثانوي- وفق خطـة التعليم طوال السنـة وبمنهجية المراحل، وهـي حاجةٌ مُلِحَّةٌ لا تحتمـل التأخـير، ونظـرًا إلى أنَّ طبيعة العمل في إنجـاز كُتُبٍ دراسيَّة تُلبّي هـذه الحاجة بالصورة المطلوبـة، والتدقيق اللازم يأخذُ وقتًا طويلاً، فقد ارتـأت لجنة المناهج أن تقوم بإعداد هذه السلسلة بصـورة مؤقتـة، وبعجالة مـن أمرنا قمنا بجمع مـا توفَّر لنا من كُتُـبٍ تعليميَّةٍ وكرّاسـاتٍ من جهاتٍ موثوقـة، وقمنا بترتيبها وتقسيمها واختيار المناسـب منها، والتصرف في النصوص كثيرًا، مع إجراء مراجعة عامة للمحتوى.

فهذه المناهج المؤقتة مستفادة من عدَّةِ مصادر، وهي:

جميع المناهج المطبوعة للمجلس الإسلامي العلمائي في البحرين.

بعض مقرّرات مركز الهدى للدراسات الإسلامية.

بعض كرّاساتِ مشروع تعليم الصلاة والقرآن بقرية الدراز.

بعض مناهج جماعة الهُدى للتعليم في القطيف.

بعض إصدارات مركزِ المعارف للدراسات والبحوث الإسلامية.

تنويه مهم

يرجى من الأساتذة الكرام وإدارات التعليم الديني أن يتفضلوا بموافاتنا بملاحظاتهم واقتراحاتهم؛ لتعديل وتطوير هذه المناهج، وشكرًا.

المحتويات

١

الدرس الأول

الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله عليهم السلام

الدرس الأول

الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله عليهم السلام

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[١]

تتجــه هــذه الآية الشريفة إلى بيان عظمة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأنَّ له خصوصية يتميز بها؛ حيث أن الله سبحانه وتعالى يدعو المؤمنين إلى الصلاة عليه والتسليم لقيادته.

معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

والصــلاة بحســب أصل المعنى تعني التعطّـف والترؤف، فصلاة الله على نبيــه تعطّفه عليه بالرحمة المطلقــة، وصلاة الملائكة انعطاف بالتزكية والاستغفــار والدعاء له عند الرب الجليل، وتأييد تابعيه، وصلاة المؤمنين عليه ترحُّمٌ ودعاءٌ له بالرَّحمة وأن يبلغ الدرجة الرفيعة والمرتبة المحمودة.

وفي الآيــة إشــارة عظيمة، حيثُ إنَّ الله تعالى قد قدَّم صلاته وصلاة الملائكة ثم طلب من المؤمنين أن يصلــوا عليــه، وبذلك تكون صلاة المؤمنــين اتِّباعًا لأوامر الله تعالى وتأكيــدًا على تجنُّب أذيته صلى الله عليه وآله وسلم والتي أشار إليها القرآن الكريم بقوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾**[٢] **﴿.....وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[٣].

والثابت المعلوم أنَّ الله تعالى شأنه منزَّه من أن يناله الأذى، ولكنَّ ذكره مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يمثِّلُ تكريمًا وتعظيمًا وتشريفًا للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، لذلك من قصد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسوءٍ فقد حارب الله وأسخطه.

ولكن هنا ما علاقة الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالأذى؟

---

(١) الأحزاب: ٥٦.

(٢) الأحزاب:٥٧.

(٣) التوبة:٦١.

أذى الأمّة لرسول الله ﷺ :

يكفـي في المسألـة من الأذى الموجّه للرسول الأعظم ﷺ عدم تنفيذ وصاياه، فهو لم يطلب من الأمَّة أجـرًا علـى تبليغ دعوته، لكنه طلـب المودة في القربى، وأن هــذه المودة تقتضي فيمـا تقتضيه الموالاة والمحبـة والمتابعة والمشايعة وأن لا يُفصَــلُ أهل بيته عنه ﷺ ، وبالتالي فإن الفصلَ بينهم يعني عدم الاستجابـة لطلب الرسول الأعظم ﷺ وعدم الاستجابة معنــاه أذيّة له، وأذيته موجبه لسخط الله وغضبه وصاحبها ملعون دنيًا وآخرة.

ومـمّا ورد من أحاديث لمّا نزلت هذه الآية:

عن كعب بن عجرة قال: "لما نزلت هذه الآية، قلنا يا رسول الله، قد علمنا كيف نُسلِّم عليك، فكيف نُصلّي عليك؟"، فقال رسول الله ﷺ : "قولوا اللهمَّ صَلِّ على محمدٍ وآلِ مُحمد"(٤)

وإجابـة الرسول الأعظم ﷺ للسَّائل بهذه الصيغـة دليلٌ على أنَّ ذلك مأمورٌ به، وأنَّ تعظيمه ﷺ لا يتحقّـق إلاّ بمـا هو مأمورٌ به، وفي غيره أذيَّة محضة، ويكشف ذلك دعاؤهُ صلوات الله وسلامه عليه وآله: "اللهم إنَّهم مِنّي وأنا منهم فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليّ وعليهم".

وكذلـك النهي الصادر عنه ﷺ : "لا تصلّوا عليَّ الصلاة البتراء، فقالوا وما الصلاةُ البتراء؟ قال ﷺ : تقولون اللهُمَّ صلِّ على محمدٍ وتُمسِكون، بل قولوا: اللهُمَّ صلِّ على محمدٍ وآلِ محمد".

الصلاة على النبي ﷺ حقيقتها وآثارها :

إذن الصـلاة علـى محمدٍ وآلِ محمدٍ تمثل استجابةً كاملةً لرسول الله ﷺ ، وهي في حقيقتها تسليمٌ ودعـاءٌ يُساهِـمُ في تصحيـح عقيدة المسلـم ويشدُّ من ارتباطـه بالرسول الأكـرم ﷺ وأئمة الهدى عليهم السلام، ويُبعدُ المسلمَ عن أذيَّة رسول الله ﷺ ، كما أن المستفيد من الدعاء له ﷺ هو الداعي، فقد ورد عن الإمام الصّادق عليه السلام: "دعاءُ المسلمِ لأخيهِ بظهرِ الغيبِ يسوقُ الرزقَ، ويصرِفُ عنه البلاءَ، ويقول له المَلَكُ: لك مثلاه".

وورد في المأثـور عـن النبي ﷺ قوله: "من صلّى عليّ صلّى اللهُ عليهِ وملائِكتُهُ، فمن شاءَ فليُقِل ومن شاء فليُكثر".

(٤) الصواعق المحرقة:ص٢٢٥.

وجاء في الرواية أيضًا: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء ذات يوم والبشرى تُرى في وجهه، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "إنّه جاءَني جبرائيل فقال: "أما ترضى يا محمد أن لا يُصلّي عليكَ أحدٌ من أُمَّتِكَ صلاة واحدة إلاّ صلَّيتُ عليهِ عشرًا، ولا يُسلِّمُ أحدٌ من أُمَّتِك إلاّ سلَّمتُ عليه عشرًا".

وعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "لا يزال الدعاءُ محجوبًا حتى يُصلّى على محمدٍ وآلِ محمد".

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أسئلة الدرس

١. ***لمفهوم الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مراتب تختلف من حالة لأخرى، وضّح ذلك.***

....

....

....

....

....

٢. ***ما المراد بالصلاة البتراء التي نهى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عنها؟***

....

....

٣. ***ما الجزاء المترتّب على الصلاة على النبي وآله صلى الله عليه وآله وسلم؟***

....

....

....

....

....

٢

الدرس الثاني

الإنسان بين طريقَيْ التزكية والفجور

الدرس الثاني

الإنسان بين طريقي التزكية والفجور

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ❖ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ❖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[1]

أهمية تزكية النفس:

دسَّاها: أصلها من الدسّ وهو إدخالُ الشيء في الشيء بطريقة خفيَّة، وكذلك الدسّ هو النمو غيرُ الصَّالح.

الآيات المباركات تخاطب الإنسان، وتقول له إنَّ الفلاح والنجاح هو رهن الالتزام بطريق التزكية والطهارة والتقوى، وإنَّ الخسران المبين والخيبةَ العظمى هي في اتباع طريق الفجور والغواية، وأن لا عذر للإنسان، فهو الذي يختار طريقه، فإن هو اتبع طريق التزكية ونمّى نفسه تنمية صالحة فاز وأفلح في الدنيا والآخرة، وإن هو أقحمها بطريق الكفر والخسران والدسِّ فإنَّ الخسارة ستصيبه في الدنيا والآخرة كذلك،

ففي الدنيا يخسر إنسانيَّته؛ لأنه قد استسلم لغرائزه الحيوانية، وجعلها هي السائق له وكان الشيطان له وليًّا مرشدا، وفي الآخرة غضبُ الله وسخطُه عليه.

الإلهام للتمييز:

وقد أشارت الآيات الكريمة إلى:

أنَّ الله تعالى قد ألهم هذه النفس وعرّفها حقيقة الأعمال التي يرتكبها الإنسان، فبواسطة هذا الإلهام تُميَّز ما هو تقوى ممّا هو فجور، وهذا الإلهام والتعريف لكي يستفيد الإنسانُ منه في بناء نفسِهِ الخيِّرة، فيبتعد ويجتنب عن كل ما يؤدي به إلى الوقوع في هاوية الخسران، ويتجه نحو الخير والتزكية؛ ليصنع من نفسه إنسانًا عظيمًا يستحقُّ المغفرة والرضوان، وذلك لأنَّه بتزكيته لنفسه عَبرَ قيامِهِ بالأعمال الصالحة التي أمره اللهُ بها فإنَّه يتزوَّدُ لآخرته، ويزرعُ في الدنيا ليحصد ثماره غدًا في الآخرة، ومن بين أعمال التزكية وأهمّها هي الأخلاق الإنسانيّة العالية، وقد ورد عن الرسول الأعظم

---

(١) الشمس: ٨-١٠.

ﷺ قوله: "إنَّ أحبَّكُم إلى اللهِ أحسنُكُم أخلاقًا، الموطئون أكنافًا الذين يألفون ويؤلفون".

وعنه ﷺ: "إنَّ العبدَ ليبلغ بحسنِ خُلُقِه عظيمَ درجات الآخرة وشرفَ المنازل وإنَّه لضعيف العبادة"،

وعنه ﷺ: "إنَّ أثقَلَ ما يوضعُ في ميزانِ المؤمنِ يوم القيامة خلقٌ حسن".

أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسانُ

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أسئلة الدرس

١. *ألهم الله سبحانه وتعالى نفوسنا حقيقة الأعمال التي نرتكبها، فكيف يستفيد الإنسان – بوساطة هذا الإلهام- أن يبني نفسه؟*

....

....

....

....

....

٢. *ما هي العاقبة المنتظرة لمن طهّر نفسه بالعمل الصالح، ولِمَن دنّس نفسه باستسلامه لغرائزه الحيوانية؟*

....

....

....

....

....

٣

الدرس الثالث

الشاهدون على أعمالنا

الدرس الثالث

الشاهدون على أعمالنا

﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ... ﴾ [1]

الآيـة الكريمةُ تنبِّـهُ الناسَ إلى مراقبة أعمالهـم؛ وذلك بتذكيرهم بأنَّ كُلَّ أعمالِهـم من خيرٍ أو شرٍّ هـي غيرُ مستورةٍ بستر، وأنَّ لها رُقبـاءَ شهداءَ يطَّلِعون عليها، ويرون حقائقها وهم رسول الله ﷺ، وشهـداء الأعمال مـن المؤمنين، واللهُ سبحانه من ورائهم محيط، ومن جهة أخرى فإنَّ الآيةَ الشريفةَ تبعـثُ على ألاطمئنان، فإنَّ جهـودَ الإنسانِ كُلَّها لن تضيع، فلا مجالَ للقلقِ والخوفِ من عدم حصولِ النتائـجِ والثمـار في الدنيـا والآخرة، لمـاذا؟ لأنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ علـى كُلِّ أعمالِ الإنسـانِ ومُتكفلٌ بإعطاء الجزاء له.

واللهُ تعـالى هو الشاهـدُ على حركةِ الإنسانِ وسعيه، وتكريمًا للرسـول الأعظم ﷺ، ولبيان عظمته أيضًـا جُعِـلَ شاهدًا على هذه الأمّة في حركتها وسعيها وعملِها ـ أيًّـا كان نوعه ـ فهو ﷺ تُعْرَضُ عليه أعمال العباد.

فقـد ورد عن أحد المعصومين صلوات الله وسلامه عليهـم أجمعين عندما سُئِلَ عن الأعمال إن كانت تُعرَضُ على رسول الله ﷺ، فقال عليه السلام: "ما فيه شكّ".
قيل: "أرأيت قولَ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ...﴾ [2]
قال عليه السلام: «للّه شهداء في أرضه».

وجاء في الرواية عن أبي بصير عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أن أبا الخطّاب كان يقول: «إنّ رسول الله ﷺ تُعْرَضُ عليـه أعمـالُ أمتـهِ كُلّ خميس"، فقال عليه السلام: "هو هكـذا، ولكن رسول الله ﷺ

(١) التوبة:١٠٥.

(٢)

تُعرضُ عليه أعمالُ أمتـه كل صباحٍ ومساء، أبرارها وفجّارها، فاحذروا، وهو قول الله تبارك وتعالى ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ...﴾ [٣] [٤]

ومن هم المؤمنون الذين يشهدون أعمال العباد؟

حتمًـا ليس المقصود منهم مطلـق المؤمنين، فهناك طائفةٌ ممَّن تدَّعي الإيمان وهي لا يمكن أن تؤتمن علـى درهـم واحد، فكيف تؤتمن علـى أعمال الخلائق. وإذا كانـت المسائلُ متعلقـةً بأعمال الشهادة الدنيويّـة، فإنّها تحتاج إلى مواصفات خاصّة في الشاهد من عدالة واستقامة ونزاهة و...، ممّا يعني أنَّـه ليسـ كُلُّ فرد يصلح لأن يكونَ شاهدًا، وهذا يجرُّ إلى أنَّ المؤمنين الذين ورد ذكرُهُم في الآية ليس هـم مطلـق المؤمنين، بل هم فئةٌ خاصّةٌ بَلَغَت مرتبتُهُم أعلى ما يكون عليه الإيمان؛ بحيث استحقوا أن يكونوا أمناء مع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في رتبة الشهادة على الأمَّة، وهذه مرتبة غير مفتوحة لأيِّ فردٍ، بل هي جُعِلت لمن هم نفسُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ وهم الأئمة الطَّاهرون.

جـاء عـن زرارة عـن بريد العجلي قال: "قلـت لأبي جعفر الباقـر عليه السلام في قول الله: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ...﴾[٥] «، فقال عليه السلام: «ما من مؤمنٍ يموتُ ولا كافرٍ يوضَعُ في قـبره حتـى يُعرضَ عملُهُ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلـيٍّ عليه السلام فهلم جرا على آخر من فرض الله طاعته على العباد".

وجاء عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ هم الأئمة عليهم السلام».

وعن علي بن إبراهيم عن أبيه عن عثمان بن عيسى عن سماعة عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: سمعته يقول: «ما لكم تسوؤن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم".

فقال له رجل: "فكيف نسوؤه".

فقـال عليه السلام: "أَمَـا تعلمون أنّ أعمالكم تُعرَضُ عليه؟ فـإذا رأى فيها معصيةً ساءَهُ ذلك، فلا تسوؤوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسُرّوه".

وعـن عبدالله ابن أبان الزّيّـات وكان مكينًا عند الرضا عليه السلام قال: قلـت للرضا عليه السلام: "ادعُ الله لي

(٣) التوبة:١٠٥

(٤) تفسير كنز الدقائق ج٥ ص٥٤٠.

(٥) التوبة:١٠٥

ولأهلِ بيتي"، فقال عليه السلام: "أَوَلَستُ أفعل؟ واللّهِ إنّ أعمالَكُم لتعرضُ عليّ في كُلِّ يومٍ وليلة".

قال: "فاستعظمت ذلك".

فقال عليه السلام: "أمـا تقرأُ كتابَ اللّهِ عزَّ وجلَّ: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ** .... ﴾"، قال: "هو واللّهِ علي بنُ أبي طالب عليه السلام".



أسئلة الدرس

١. ***لماذا تحثُّ الآيةُ الشريفةُ على السعي والعمل؟***

....

....

....

٢. ***هناك من يذهب إلى أنّ المراد بالمؤمنين في الآية هم طائفة من النّاس تُعرضُ عليها أعمالنا، كيف تردّ على هذا القول؟***

....

....

....

٤

الدرس الرابع

هل نحن مسؤولون عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ؟

الدرس الرابع

هل نحن مسؤولون عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام؟

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ (١)

إطلالة على الآية:

تتنــاول هذه الآيــة الشريفة مسألة مهمة تتعلق باليــوم العظيم؛ يوم يقوم الناس لــربِّ العالمين، حيثُ تأخذهــم الصيحةُ العظيمةُ، وإذا بالناس قيام ينظرون وينتظــرون، وتتجلّى هناك المسؤولية الكبرى والتــي طالمــا تهرَّبَ منها الظالمون والباغــون والحاقدون في دار الدنيا، فتتهاوى وتتهــدَّم كُلُّ حُجَجِهِم ومبرراتهم التي زعموا أنّها كفيلة بأن تدعم موقفهم وتخلِّصهم من جزاء الأعمال،

في ذلــك اليوم العظيــم يتمُّ توقيفُ الناس للمساءلــة، وَقِفُوهُم: لماذا؟ لُيسأل هــؤلاء. عن ماذا؟ إِنَّهم مسؤولون عن إمامِهِم الذي ضيَّعوه، وخطِّهِم الدينيِّ الذي حرّفوه، وأفكارهم وأباطيلهم التي اتبعوها، وعِجلهم الذي عبدوه.

في معنى الآية:

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "وقفوهم إنَّهم مسؤولون عن ولاية علي"،

وقد جاء عن الإمام الرضا عليه السلام أنَّ عليًا عليه السلام ذكر حاكيًا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: "وعزّة ربّي إنَّ جميعَ أُمَّتــي موقوفون يوم القيامــة ومسؤولون عن ولايته، وذلك قوله تعالى ﴿ **وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ**﴾ ، قال: عن ولاية علي عليه السلام.

وبالإسناد عن علي عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "أوَّلُ ما يُسألُ عنه العبدُ حُبَّنا أهلَ البيت". وجاء في الحديثِ الشريفِ عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: "إذا كان يومُ القيامــةِ جمعَ اللهُ الأوَّلينَ والآخِرينَ في صعيدٍ واحــد، ونُصِــبَ الصــراطُ على شفيرِ جهنّمَ، فلم يجــز عليه إلاّ من كانت معه بــراءة من عليِّ بنِ أبي طالب عليه السلام".

---

(١) الصافات:٢٤.

إطلالة على الموضوع:

الهدف من خلق الله للإنسان:

إنّ الهدف الحقيقي من خلق الله للإنسان هو: عبادة الله سبحانه وتعالى، يقول لله جلَّ وعلا في كتابه العزيز: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(٢)

فالإنسان في حياته يجب عليه أن يسعى لتحقيق الهدف الذي خُلِقَ من أجله، وهو العبادة لخالق هذا الكون، وبهذه العبادة يتكامل الإنسان ويصل إلى المراتب العالية، وبهذه العبادة يحصل الإنسان على الفوز في هذه الدنيا وفي الآخرة،

الطريق إلى عبادة الله (ارتباط المسائلة بالولاية):

لا يمكن أن نعبد الله العبادة الحقيقية الصحيحة إلاّ بالطريقة التي رسمها لنا الله جلَّ وعلا، والمنهج الذي خطَّه لعباده، وذلك عن طريق بعثة الأنبياء والأوصياء للقيام بهذا الدور وهداية البشريّة، ولعلَّ الروايات التي تشير إلى معنى المسائلة في آية (وقفوهم إنهم مسؤولون) التي يُسأل عنها الإنسان والمطبّقة على ولاية علي عليه السلام ناظرة إلى هذا المعنى وهو: أنه لا يمكن أن تكون عبادة حقيقية من دون مسألة الإمامة باعتبارها الامتداد الحقيقي للنبوّة.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أسئلة الدرس

١. ***يوم القيامة يوم عظيم وهو آتٍ لا محالة، وأعظم ما فيه أننا نُسأل عن أمرٍ عظيم، فما هو؟***

....

....

٢. ***متى يستطيع الإنسان أن يجوز الصراط يوم القيامة؟***

....

....

---

(٢) الذاريات:٥٦

٥

الدرس الخامس

بناء النفس المطمئنة بالصبر والصلاة

الدرس الخامس

بناء النفس المطمئنة بالصبر والصلاة

﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (١)

عبادة الله صناعة للنفس:

لكي نرتقي بالنفس فتصل إلى المراتب العالية لابدّ أن نركِّز على تربيتها، ويكون ذلك بمراقبتها، وترويضها على طاعة الله وترك معاصيه، وهنا يأتي موضوع الجهاد الأكبر، فإنه يتركز البحثُ في معركة الجهاد الأكبر، وهو جهاد النّفس حول ماذا يصنع الإنسان ليفوز ويكسب هذه المعركة، فالأهواء كثيرة ونوازع النفس قويّة إلى حدٍّ أنّها قادرةٌ على جرّ صاحبها إلى مزالق الهاوية، فإذا هو أخلص عبوديَّته لله وحده فإنّه حينها يتحقق له الانتصار على كُلِّ النوازع المنحرفة أو الشريرة، ويتمكّنُ من هزيمة الأهواء؛ لتكون روحُهُ روحًا مقدسة وعظيمة.

مردود العبادة يرجع للعبد:

والله لا يستفيد من هذه العبادة شيئًا مطلقًا لأنه الغنيُّ المطلق، وهو الكامل ولا يحتاج إلى أحدٍ من البشر، فطاعة الإنسان لله تعطي مردودًا للإنسان نفسه، لا لله، فالإنسانُ عندما يُطيعُ اللهَ فإنَّهُ سيحصلُ الأجرَ والثوابَ والتوفيقَ من قِبَلِ اللهِ، وعندما يعصي لن يحصَلَ إلاّ على الخُسران في الدنيا والآخرة، فاللهُ سبحانه وتعالى يقول: **﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ....﴾** (٢)

جهاد النفس يحتاج لبرنامج روحي:

ولصعوبة أمر جهاد النّفس وثقله فقد وضع الله تعالى لعباده برنامجًا روحيًّا يضمن لهم عملية البناء المتوازن، والذي يوصلُ الإنسانَ إلى نورِ القلبِ وإلى المراتبِ العالية، وذلك بطريقة صحيحة.

فالعبادةُ والاتصالُ الروحيُّ باللهِ الخالقِ الرحمنِ النَّاصرِ هي التي تُقوّي الإرادة وتحقِّقَ الانتصار

---

(١) البقرة:٤٥.

(٢) الإسراء:٧.

الداخلــي، فعندما يقف الإنسانُ أمــامَ خالقه ويقرأ ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [٣]، فإليك يا رب وجّهت وجهي وأسلمت أمري وعبدتك وحدك وأنت الربُّ لا النفس ولا الهوى، وبك أستعينُ على نفسي وعلــى كُلِّ قــوة تريد صرفي عن توحيدك وعبادتك وتريــدُ أن تخرجني من دائرة رحمتك. هنا ترتبط النفــس بخالقها في لحظةِ اتصــالٍ عظيمةٍ تعطيها شحناتٍ من العزة والقوة والمنعة؛ لتجعل منها قلعةً قويةً في مواجهة الأهواء والغرائز.

معاني ألفاظ الآية الكريمة:

وقــد قيــل أنَّ الخِطــاب في الآية ﴿**وَاسْتَعِينُواْ...**﴾ خطابٌ عــامٌّ موجَّهٌ لجميعِ من تتوفــرُ فيه شرائطُ التكليفِ ولا دلالة على تخصيصه بقومٍ أو بأُمة.

والصــبر في الآيــةِ الكريمةِ هو منعُ النفسِ عمّا تُحِبُّ وكفّهــا عن هواها، وقيل إنّه ثباتُ باعثِ الدين في مقابلةِ باعثِ الشهوة، وقيل بأنّه الصوم.

الصبرُ من أهمِّ مميزاتِ الإنسانِ عن غيرِهِ من الحيوانات، فهي لا تمتلكه عند انسياقها إلى شهواتها وحاجاتها، بينما الإنسانُ يتمكنُ من كفِّ نفسِهِ وحملِها على الصبرِ؛ لتكون مقودة للعقل والإيمان.

وقد ورد أنّ الرسول الأعظم ﷺ إذا أحزنه أمرٌ استعان بالصلاة والصوم، وذلك لما في هذه العبادة من عظيم اتصالٍ وذكرٍ لله واستمدادٍ للقوةِ والعونِ منه سبحانه وتعالى.

أمّا كونها كبيرة فهي بمعنى ثقيلة، حيثُ حَملُ النَّفسِ على الطاعة فيه مواجهةٌ للقوى الشَّيطانيَّة التي توسوِسُ للإنسان وتدفعه إلى التثاقلِ وتُشعِرَهُ بألمِ الطاعة وثقلِها؛ ليتخلّى عنها.

ممّا تشيرإليه الآية:

والآية الكريمة تدعو المؤمنين وتحفِّزهم على الاستعداد الدائم للمحافظة على الصلاة، وإقامتها كما أراد الله تعالى، والحفاظ على أوقاتها وشروطها، وإنّ الذي يصِل إلى درجة الخاشعين هو الذي تسهل عنده الطاعات ولا يرى لها ثقلاً ولا صعوبة، وذلك لأنَّ الخاشعين قد وطَّنوا أنفسهم على مرضاة الله وحملــوا أنفسهم علــى الطاعات، وصارت عندهم الصلاةُ كبيرةً عظيمةً بما تحمل من أهدافٍ ومعانٍ ساميــةٍ، فهــم يرتاحون إليها ويسارعون إليها، ودائمون عليها ويتلــذَّذون بها، لأنَّ فيها اتصالاً بالرَّب الرَّحمن المتعالي.

---

(٣) الفاتحة:٥.

أسئلة الدرس

١. وضع الإمام الصادق عليه السلام قواعد روحانية وأخلاقية؛ لتحصيل ضياء القلب ورحابة الصبر، فكيف تدلّل على ذلك؟

....

....

....

....

٢. بيّن آراء المفسّرين في المراد بالصّبر في الآية الشريفة؟

....

....

....

٣. علل: وصف المولى سبحانه وتعالى الصّلاة بالكبيرة في قوله: ﴿...وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾.

....

....

....

٦

الدرس السادس

نقض العهد تنكُّرٌ للفطرة والتقوى والإيمان

الدرس السادس

نقض العهد تنكُّرٌ للفطرة والتقوى والإيمان

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [1]

مسؤولية حفظ العهود و المواثيق:

إن من أهمِّ مسؤولياتِ الإنسان في هذه الحياة حفظ العهود والمواثيق التي يلتزم بها مع الآخرين؛ لتكون برامج للعمل ومنظمة العلاقات، وإن صاحب العقلِ السليم والفطرةِ السليمةِ ليلمسُ بفطرته وبسلامة حواسَّه قبحَ نقضِ هذه العهود، وحسنَ الوفاءِ بها في جميع الحالات، ومهما كانت الظروفُ الاجتماعيّة.

التربية و دورها في حفظ العهود:

ولا شكَّ أن لنظام التربية والتنشئة ـ الذي يتربَّى عليه الإنسانُ منذ سنينه الأولى أو لِنَقُل منذ طفولته الباكرة ـ أثرًا كبيرًا في صياغة شخصيتِهِ ومفاهيمِهِ المستقبليةِ ونظرتِهِ لهذه الحياة، فالحاضنةُ الاجتماعيَّة تتركُ بصماتِها واضحةً على صفحات هذا الإنسان، فالذي يعيشُ حياةَ الطهارةِ والنقاء، حياة الإحساسِ بالمسؤوليَّة والشعور بالآخرين، ويعيشُ الإحساسَ الإيمانيَّ برقابةِ اللهِ عليه، تراه حريصًا كُلَّ الحرصِ على استجماعِ صفاتِ المتقينَ، والتي منها حفظُ العهودِ والمواثيق.

الأخلاقُ الإسلاميةُ تدعو لاحترام العهود:

إنّ الأخلاق الإسلاميةَ الإنسانية تحكم بضرورة احترام كلِّ قرارٍ يصدر عن الإنسان، وكلِ عقدٍ يعقده مع الآخرين حتى لو لم يكن له ضمانٌ رسميٌّ أو وثيقة قانونية، فيكفي في ذلك أنَّ اللّه تعالى هو الشاهد، فأيُّ وثيقة أكبرُ من هذه الوثيقة، وأيُّ شاهدٍ أعظمُ وأثبتُ من هذا الشاهد؛ الذي لا تخفى عليه خافيةٌ في الأرض ولا في السماء.

---

(١) النحل: ٩١

آثارُ نقضِ العهودِ وخيانتها:

وكمـا أنَّ الوفـاء بالعهود هو قيمة شَرَفيَّةٌ وخُلُقيَّة في الإنسان حثَّ عليها الإسلام، ووجَّه إليها الرحمن عبـاده؛ من خـلال الخطاب القرآنيِّ، فإنَّ خيانةَ العهودِ ونقضِها هو تحـرّرٌ من قيود الشرفِ والمبادئِ والأخـلاق، وإنَّ له من الآثار الخطيرة على المجتمـع وعلى الفرد نفسه الشيء الكثير، فهو هدمٌ للبناء الاجتماعـيِّ وتفكيـكٌ لأواصر التعايش، وتشتيتٌ لشمـل المجتمع، وإنَّ شيوع هـذا السلوك الفاسد لهو شاهـدٌ على ضعف وانحطـاط المجتمع، وكذلك هو من أهمِّ العوامل التي تـؤدي إلى وَهنِ حِبال المودة بين النَّاس، وإنَّ المجتمع الذي يكون هذا حاله هو قطعًا فاقد للتوازن والحياة السعيدة، ولا يطمئِنُّ فيه أحدٌ لأحدٍ أبدًا، وماذا تكون النتيجة؟

روايات في العهود، الآثار والنتائج:

سُئِل الإمـامُ الصادق عليه السلام عن الذنوب التي تقتضي إلحاق العقوبة مجازاةً للإنسان، فأجاب عليه السلام بقولـه: «نقضُ العَهـدِ، وظهورُ الفاحشةِ، وشيـوعُ الكذبِ، والحكـمُ بغيرِ ما أنـزَلَ الله، ومنعُ الزكاة، وتطفيفُ الكيل».

ونجد في حديث الإمام عليه السلام أنَّ أوَّلَ الذنوب التي توجِبُ مجازاة الإنسان على فعله هي نقض العهود؛ لأنَّهـا مسألة خطيرة، وهي تنطوي على شرورٍ كثيرة، فهي كَـذِبٌ وتحلُّلٌ من العهود، وعملٌ بخلاف ما أمر الله تعالى.

وعـن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قال: "خمسٌ بخمس"، قالوا: "يـا رسول الله وما خمسٌ بخمس؟"، قال صلى الله عليه وآله وسلم: "مـا نقضَ قومٌ العهدَ إلاّ وسلَّط اللهُ عليهم عدوَّهـمُ، وما ظهرت عنهم الفاحشةُ إلاَّ وقد فشيَ فيهـم المـوت، وما شـاع فيهم الكذبُ والحكمُ بغير ما أنـزل اللهُ إلاَّ وقد فشيَ فيهـمُ الفقرُ، وما منعوا الزكاةَ إلاَّ حُبِسَ عنهم المطرُ، وما طفَّفوا الكيلَ إلاَّ مُنِعوا النباتَ وأُخِذوا بالسنين".

والتأمـل في حديث الرسول الأعظـم صلى الله عليه وآله وسلم يُعطي صورةً واضحةً عن ترتُّـبِ النتائج على الأعمال التي تصـدر عـن الإنسان، ولو دقَّقنا لوجدنـا أنَّ الأعمال المذكـورة كلَّها تمثِّلُ نقضًا لعهـود الله، وأنَّ هذا النقضَ للعهدِ يؤدي إلى تفكُّكِ التماسكِ الاجتماعيِّ وفقدانِ المناعةِ، وبالتالي انهيار المجتمع.

وعن الإمام الباقر عليه السلام قوله: "ثلاث لم يجعل اللهُ لأحدٍ فيهنَّ رخصة: أداءُ الأمانةِ إلى البرِ والفاجر، والوفاءُ بالعهدِ إلى البرِ والفاجر، وبر الوالدين برين كانا أو فاجرين".

وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوله: "أربعٌ من كُنَّ فيه فهو منافق، وإن كانت فيه واحدةٌ منهن كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدَعَها: من إذا حدَّثَ كَذَب، وإذا وَعَدَ أخلَف، وإذا عاهَدَ غَدَر، وإذا خاصَمَ فَجَر".



أسئلة الدرس

١. ***الوفاء بالعهد أمر فطري حيث يشعر كل إنسان بفطرته قُبح نقض العهد وحُسن الوفاء به، فما الذي يجعل الإنسان بتمام عقله وفهمه ينقض عهوده مع الآخرين بعد أن يؤكّدها؟***

....

....

....

٢. ***ما هي الآثار السيئة التي يتركها نقض العهد في المجتمع المسلم؟***

....

....

....

٣. ***هناك من يقول أن حفظ العهد والوفاء به يكون بين المؤمنين الأخيار أمّا الفجار العصاة فيجوز نقض العهد معهم، فكيف ترد على هذا القول؟***

....

....

....

٧

الدرس السابع

أهل الجنة إشراقة وجهٍ وانتظار جزاء

الدرس السابع

أهل الجنة إشراقة وجهٍ وانتظار جزاء

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [(١)]

صفة أهل الجنة:

هاتان الآيتان تتحدثان عن وضع المؤمنين في الآخرة، وتصف وقوفَهُم وهم مبيضّة وجوههم جزاء إحسانهم في هذه الحياةِ الدنيا، كأنَّ وجوههم من شدة بياضها تلمعُ نورًا وتشعُّ ضياءً، وكُلّها بهجة وحسن ونعومة خير، وهم-أي المؤمنون- في سرور النجاة يوم الحساب، وينتظرون عظيمَ الثوابِ من الله الجليل الرحمن الرحيم، بأن يأتي الأمرُ للملائكةِ أن زفّوهم إلى الجنان وإلى أزواجهم من الحور العين، وأدخلوهم في الرحمةِ الأبديةِ الدائمةِ جزاءَ عملِهم وإحسانهم في دارِ التكليف.

معاني الآيات:

المعنى الأول:

والوجه الوارد في الآية الكريمة يُرادُ منه كُلاًّ من الوجه الظاهري للإنسان. وهو الذي يستقبل به الأشياء، فتظهر عليه أمارات الحسن والفرح والسرور بما أنعم الله عليه، وإلى ذلك المعنى أشارت الآية ﴿**أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ**﴾ وكذلك قوله تعالى: ﴿**فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا**﴾ [(٢)]

المعنى الثاني:

وهذا السرور الظاهر على الوجه إنَّما يكون مصدره حقيقةً باطنية، وهذه الحقيقة هي مصدر الانفعال والفرح والسرور، وهي التي تعطي الصورة المنطبعة على صفحات الوجه الظاهري، وهذا هو المعنى الثاني المرتبط بلفظ الوجه في الآية المباركة، والمراد منه بهذا المعنى هو القلب، وهذا المعنى الثاني يُستفادُ من الآية اللاحقة للآياتِ أعلاه عند قوله تعالى: ﴿**وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ❖ تَظُنُّ أَن**

---

(١) ﴿القيامة:٢٢﴾

(٢) ﴿الإنسان:١١﴾

يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [٣] والظنُّ هو من أفعال القلوب، وليس للوجوه الظاهرة فيه نصيب.

استحالة الرؤية البصرية لله:

وقد حاول البعضُ أن يستدلَّ بهذه الآية على إمكانية رؤية الله تعالى يوم القيامة، وذلك باعتباره النعمة الكبرى التي يعطيها عبادَه المؤمنين، ولكنَّ هذا المعنى لا يمكن أن يكون، فرؤيتُهُ تعالى شأنه مستحيلة في الدارين، فهو ليس بجسم حتى يُرى بالعينِ الماديَّة، بل المراد بـ (النظر إليه سبحانه وتعالى) هو النظرُ القلبيُّ ورؤيةُ القلبِ بحقيقةِ الإيمانِ، وهذا من قبيل قوله تعالى: **﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾** [٤]، فهؤلاء قلوبُهُم متوجهة إلى ربهم لا يشغلهم عنه سبحانه شاغل.

ورحم اللهُ الحكيمُ الدمستانيُّ إذ يقول:

جَلَّ عنِ الرُّؤية في الأعيانِ   ولَو يُرى مَا قَال لَن تَراني

❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أسئلة الدرس

١. ***الآيتان الشريفتان (٢٢و٢٣) من سورة القيامة تبرز صفتين لأهل الجنة، وضّحهما.***

....

....

....

٢. ***استدل بعض أهل السنة على جواز رؤية المولى سبحانه وتعالى استنادًا لكلمة (ناظرة) فكيف تدحض (تبطل) هذا الاستدلال من خلال القرآن الكريم نفسه؟***

....

....

....

---

(٣) القيامة: ٢٤-٢٥.

(٤) النجم:١١.

٨

الدرس الثامن

هل يعبس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ١

الدرس الثامن

هل يعبس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟!

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَن جَاءهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾[1]

عبس: قبض وجهه، تولّى: أعرض وصدَّ عنه، يَزَّكَّى: يتطهر بالعمل الصالح.

سبب نزول الآية:

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام في بيان سبب نزول السورة قوله عليه السلام: «أنَّها نزلت في رجلٍ من بني أُميَّة كان عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فجاء ابنُ أمِّ مكتوم، فلمّا رآه تقذَّر منه، وجمع نفسه وعبس وأعرض بوجهه عنه، فحكى الله سبحانه ذلك وأنكره عليه».

والواضح من بيان سبب النزول ومن التعبير القصصيِّ في الآيات الشريفة أنَّها -أي السورة- تُعاتِبُ الذي يُميِّز بين النّاس في المعاملة على أساس المعايير المادية والحطام الدنيويِّ الزائل، فيُقدِّمُ الأغنياءَ المترفين ويستقبلُهُم بكلِّ بشاشةٍ وترحيب، ويُبعِدُ الضعفاء والمساكين من المؤمنين، وبذلك فهو يرفع أهلَ الدنيا ويضع ويحطُّ من قدرِ أهلِ الآخرة، ثمَّ بعد ذلك تنتقل الآياتُ الشريفةُ لمعالجة مواضيعَ أخرى في ذات السياق.

اختلاف الآراء في النزول:

وقد اختلفت الروايات في سبب نزول هذه الآيات المباركة، فروايات أهل السنة تذهب إلى أنها نازلة في النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبأنه هو الذي عبس في وجه ابن أم مكتوم، وروايات أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام تبعًا لما جاء عن الأئمة المعصومين عليهم السلام تذهب إلى أنّها نازلة في رجل من بني أميَّة. وإنّ القول بأنَّها نازلة في النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لهو مخالف للواقع، ولِما قرَّره الله سبحانه وتعالى من عظيم الأخلاق والسجايا عند رسوله العظيم صلى الله عليه وآله وسلم، فليس من خُلُقِ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أن يعبس بوجه أحدٍ، ومهما كانت الظروف.

---

(١) عبس: ١-٣.

ولكن قد يقال ما الدليل الذي يمكن الاعتماد عليه في نفي نزولها في النبي العظيم صلى الله عليه وآله وسلم؟

يمكن إيراد بعض الأدلة التي توضِّح بشكل قاطع أنّ الذي عبس ليس هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن ذلك:

١. أنَّ الرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت الكرام عليهم السلام قد أرشدوا الأُمَّةَ إلى عرض الروايات على القرآن الكريم، فما عارض صحيح القرآن فلا يؤخذ به، وهذه الرواية لو عُرِضت على كتاب الله لكانت متعارضة وبِكُلِّ وضوحٍ مع النصوص القرآنيّة التي تنزِّهُ النَّبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن قبيل ذلك قوله تعالى: في سورة القلم ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم**﴾(٢)، فهل العبوس بوجه ضعفاء المؤمنين يناسب هذا الخُلُق العظيم؟

٢. إنَّ التاريخ وبِكلِّ تفاصيله لم ينقل ولا حادثة واحدة يثبت فيها أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد أساء التصرف مع أعدائه المنابذين له، فقد كان في غاية اللطف والرفق حتى مع الأعداء، فهل يعقل أن يُسيء التصرف مع أتباعه المؤمنين، وينفر عمّن جاء يطلب الهداية.

(٢) القلم: ٤.

٩

الدرس التاسع

هل يعبس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ ٢

الدرس التاسع

هل يعبس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ٢

تتمة للدرس السابق:

٣. هـل يمكن للنَّبـي صلى الله عليه وآله وسلم أن يخالف أمر الله، فالله تعالى شأنه يقول: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾ [١]: ، وقوله تعالى: ﴿**...وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[٢] فالله تعـالى يأمر نبيه العظيم بالصبر والعيش مع الفقراء من المؤمنين؛ لما فيهم من صفات كماليَّة لم تكن موجودة عند الأغنياء، وخصوصًا إذا علمنا أنَّ سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كلَّها تشريع فهو لا ينطِق عن الهوى، وكذلك لا يتحرك بموجب الهوى والعاطفة.

٤. ثـم نجدُ إشارةً واضحةً في الآيـة (٧) من نفس السورة المباركة قوله تعالى: ﴿**وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى**﴾[٣]فكيف يكون هذا الأمر والرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد بعث لتزكية النّاس كافة وقد قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ [٤]، وفي ترك التصدي لهذا المتزكـي إغراء له بالابتعاد عن حلقة الإيمان وترك طلب التزكية، وفي هذا السلوك نقض للغرض الذي بعث له النبي العظيم صلى الله عليه وآله وسلم .

٥. إنَّ الله سبحانـه وتعـالى يأمر الناس في محكم كتابه المجيد بالاقتـداء والتأسي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باعتباره النموذج الأرقى والأكمل فيقول الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [٥].

---

(١) الكهف:٢٨.

(٢) الكهف:٢٨.

(٣) عبس:٧.

(٤) الجمعة:٢.

(٥) الأحزاب:٢١.

فـإذا كان العبوس في وجه المؤمنين مذمومًا وقبيحًا، فهل يمكـن أن يفعله رسول الله ﷺ وهو المثال الكامـل في الأخلاق؟ وإنّ فرض هذا الأمر فلا بأس على النـاس بالتأسي بالرسول ﷺ بأن يعبسوا في وجه الفقراء من المؤمنين ويميلوا باتجاه أهل الدنيا، وهذا سلوكٌ يرفضه الله ورسوله والمؤمنون.

وفي الآيات الكريمة التفاتة إلى أنَّه سلوك مذموم ففي الآيتين ﴿**عَبَسَ وَتَوَلى ❖ أَن جَاءهُ الْأَعْمَى**﴾ [٦] واللتين قد وردتا بلفظ الغيبة تبين الإعراض عن المشافهة للدلالة على الإنكار والعتاب، ثم تليها الآيات مستخدمة الخطاب المباشر لتزيد من التوبيخ لهذا العابس بسبب المواجهة بعد الإعراض.

ولكن لماذا عبر عن القادم بالأعمى ولم يعطه صفة أخرى؟

ربمـا والله العالم أن التعبير بهذه الصفة فيه مزيـد من التوبيخ لهذا العابس الذي تولى وأعرض عن طالـب التزكية بعد أن وقـع بصره عليه، لأن هذا الساعي أولى أن يرحـم ويخص بالمزيد من الإقبال والعطف.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أسئلة الدرس

١. ***ذهبت روايات أهل السنّة إلى أن العبّاس في الآية الشريفة هو شخص النبي الأكرم ﷺ فكيف تردّ على هذا الزعم من القرآن الكريم نفسه؟***

....

....

....

٢. ***لم عبّرت الآية الشريفة عن الرجل الذي جاء يسأل بصفة العمى دون غيرها من الصفات كالفقر مثلاً؟***

....

....

....

(٦) ﴿عبس: ١-٢.

١٠

الدرس العاشر

الوفاء بالنذر و الإيثار وجزاؤهما الأخروي

الدرس العاشر

الوفاء بالنذر و الإيثار وجزاؤهما الأخروي

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ❖ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ❖ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً﴾ [1]

أهمية الوفاء بالنذر:

تتحدث هذه الآيات الشريفة عن مسألة الوفاء بالنذر وتقوى الله وحُبِّه، وأنَّ المؤمن الذي يعيش أجواء الإيمان بكلِّ تفاصيلها ودقائقها يكون كُلُّ عملِهِ خالصًا لله تعالى وكُلُّ حياته ذوبانًا في ذاته، وأنَّهُ يصنع لنفسه زادًا ليوم مليءٍ بالأهوال وَصَفَتْهُ الآياتُ بأنَّ شرَّهُ كان مستطيرًا، أي منتشرًا في كُلِّ جهةٍ ومكان، ولأنَّهم -أي المؤمنون- على علم ويقين بحجمِ هذا الأمر وأهوالِ القيامة فإنَّ ذلك قد جعل عندهم حافزًا ودافعًا للعطاء والبذل والتضحيةِ والقيامِ بالصالحات، وبالتالي الفوز بالمقاماتِ العالية، ومن بين الأعمال الكفيلة بنيلِ الرضوانِ هو الإيفاءُ بالنذر، وهنا تكمن مسألة مهمة، وهي أنَّ النذر هو أمرٌ قد أوجبه الإنسانُ على نفسه طاعة وقربة لله تعالى، فإذا هو وفّى بما فرضه على نفسه فإنَّهُ حتمًا يكونُ قد وَفَّى بما أوجبه اللهُ عليه.

إيثار أهلِ البيت عليهم السلام:

والآية الشريفة لم تكتف بالإشارة إلى الوفاء بالنذر، والخوف من شرِّ ذلك اليوم العظيم فحسب، بل وضَّحت نقطة في غاية الأهميَّة وهي لا تحصل لأيّ إنسان، ألا وهي قصة الإيثار الذي بلغ أقصى درجاته عند من خصَّتهم الآية الشريفة؛ وهم أهل بيت الرسالة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حيث تصدَّقوا بما لديهم على المسكين واليتيم والأسير؛ طاعة وقربة لله تعالى، فهم قد أوفَوا نذرهم وزادوا عليه بتصدُّقهم بطعامِ إفطارِهم الذي لا يملكون غيره بحسب الروايات الواردة.

---

(١) الإنسان: ٧-٩

سبب نزول الآيات الشريفة:

وقد نقلت كتبُ التفاسير قصَّة هذه الآية وسبب نزولها، وقد جاء في ذلك أنَّ الحسن والحسين عليهما السلام قد مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه أناس فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك، فنذر علي وفاطمة وفضة؛ وهي جارية وخادمة للزهراء عليها السلام إن شافاهما الله ليصوموا ثلاثة أيام، فشُفيا عليهما السلام، ولم يكن عند المولى أمير المؤمنين عليه السلام شيء، فاستقرض ثلاثة أصوع -الصاع يصل إلى ثلاثة كيلوجرام تقريبًا- من شعير من شمعون اليهودي، فطحنت فاطمة عليها السلام في اليوم الأول صاعًا من الشعير وصنعت منه خمسة أقراصٍ على عددهم ووضعوها بين أيديهم ليفطروا، فإذا سائل يطرق الباب فآثروه على أنفسهم ولم يفطروا إلاَّ على الماء، ثم في اليوم الثاني صنعت الزهراء عليها السلام خمسة أقراص أخرى وما أن حان وقت الفطور وإذا باليتيم يطرقُ الباب يطلبُ طعامًا فآثروه وتصدَّقوا بطعامهم وأفطروا على الماء، وواصلوا صومهم، وفي اليوم الثالث صنعت الزهراء عليها السلام مثل اليومين الماضيين، وما أن حانت لحظة الإفطار وإذا بطارقٍ يطرقُ الباب وهو الأسير الذي أشارت إليه الآية الشريفة فآثروه بطعامهم.

ولمَّا أصبحوا أخذ علي عليه السلام بيد الحسن والحسين عليهما السلام ودخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما رآهم رقَّ لحالهم حيث الضعف الشديد، وانطلق معهم إلى بيت فاطمة عليه السلام وإذا هي في محرابها وقد أضعفها الجوع، وتأثَّر الرسولُ الأعظمُ صلى الله عليه وآله وسلم لهذا المشهد، وإذا بجبرائيل عليه السلام يهبط على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقول له: "خُذها يا محمد هنّاك اللهُ في أهلِ بيتك فأَقرَأَهُ السورة".

__وفي الآيات إشارات لطيفة منها:__

١- أنَّ الأبرار يتصفون بصفاتٍ عظيمةٍ كالخوفِ من الآخرة وأهوالها، ورجاءِ رحمةِ الربِّ ورضوانه، وأنَّهم كذلك يتقربون إلى الله بتحمّلِ المسؤوليات الاجتماعية تجاه الضعفاء وأهل الحاجة بالرغم من حاجتهم الماسَّة.

٢- الضمير في (حُبِّه) يعود على الطعام، فالصائم تتوق نفسُهُ للطعام؛ لشدة حاجته إليه، ولكن مع كُلِّ حاجتهم للطعام ورغم تَوقِهِم إليه إلاّ أنَّهم صلواتُ اللهِ عليهم يبذلون ما يحبّونه لوجهِ الله تبارك وتعالى، وفي هذا المعنى تكمُنُ مسألةُ الإيثارِ والإخلاصِ العظيم، فإنَّ الأبرارَ الكرام لا يُطعِمونَ المُحتاجَ من فاضِلِ الطعام، بل يُطعِمونه خصوصَ طعامِهِم الذي عندهم؛ بحيث ينفقونه مع الحاجة والحُب، وفي هذا أرفع مراتبِ التضحيةِ والعطاء.

٣- إنَّ الإنفــاق أحيانًــا قد يتخذ صورة التكبُّرِ والتعالي والتسلط على الآخرين، كما أنَّهُ قد يكونُ إنفاقَ مَنٍّ وأذى، أمَّا إنفاقُ الأبرارِ فإنَّه يكونُ خالصًا لوجه الله تعالى، غيرُ متوقفٍ على أجرٍ ولا يُرادُ مِنهُ إلاّ رضا الله سبحانه وتعالى، وإلى ذلك أشارت الآيات الشريفة.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أسئلة الدرس

١. ***الوفـاء بالنـذر من خصـال أهل البيت عليهم السلام وهم أهـل الإيمان والتقوى، ولكـن حين يمتزج هذا الوفـاء بالإيثـار فإنّـه يكـون أعظـم، وضّـح ذلـك في ضـوء فهمـك للآيات الشـريفة من سـورة الدهر (الإنسان).***

....

....

....

....

٢. ***بيّن - بإيجاز- سبب نزول آية الوفاة بالنذر في سورة الدهر.***

....

....

....

....

٣. ***يزعم الرازي أنّ تلك الآيات الشـريفة تشـمل جميع الأبرار والأتقياء والمطيعين من الصـحابة والتابعين وليس فيها تخصيص، فكيف تردُّ على هذا الزعم؟***

....

....

....

....

١١

الدرس الحادي عشر

الإسراء والمعراج معجزتان إلهيتان عظيمتان

الدرس الحادي عشر

الإسراء والمعراج معجزتان إلهيتان عظيمتان

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١)

معجزة الأسراء :

تستعرض هذه الآية الكريمة قصة الإسراء؛ التي وقعت كإحدى المعاجز العظيمة لنبيّنا العظيم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والإسراء هو السفر ليلاً، وبحسب مصادر التاريخ أنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أُسْرِيَ به من دار السيدة أم هاني أخت الإمام المولى أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت المسافة بين مكة والمسجد الأقصى بالقدس من بلاد فلسطين تُقدَّر بأربعين ليلة، وهي مسيرة القوافل، وهنا وجه الإعجاز الإلهيّ، أو أحد وجوه الإعجاز. ولذلك نجد أنّ الآية الكريمة قد افتتحت بالتسبيح، والتسبيحُ لفظٌ يستخدم للتنزيه والتقديس، وهذا الافتتاحُ يوحي بأنّ الأمر الذي سيأتي بعد هذا اللفظ لهو أمرٌ عظيمٌ وليس فيه مجالٌ للأخذِ والردِّ أو التكذيبُ أو أن يَرِدَ عليه النقض... فاللّه تعالى الخالقُ المدَبِّرُ القادر... لا يُعجِزُهُ شيءٌ، وأنّ الذي يجوز على البشر لا يمكن تجويزه على الله تعالى، فللإنسان أن يتعجَّبَ من هذه القدرة، ولكن ليدفعه عجُبُه إلى التأمُّلِ والتدبُّرِ في مقدرته سبحانه وتعالى، كما أنّ هذا اللفظَ المستخدمَ للتنزيه والتقديسِ يمنع دخول الوسوسة الشيطانية في الأمر.

<u>وقد أثيرت تساؤلات كثيرة حول هذه الرحلة، منها:</u>

١. لماذا الإسراء؟ ألم يكن ممكنًا أن يتمَّ العروجُ إلى السماء من مكة نفسها؟

٢. هل كانت رحلة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم روحيّةً أم جسديّة؟

<u>فبخصوص السؤال الأوّل</u>، إنّ الإسراء كان بمثابة المقدِّمةِ الشاهدة على صدق الدعوى، كيف؟ إنّ العربَ كانوا قد ألفوا طريق فلسطين والطرق الأخرى التي كانوا يسلكونها في رحلاتهم التجاريّة، وهم على علم كاملٍ بكلِّ ما فيها، كما أنّهم على علمٍ تامٍّ بأنّ محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم لم يسلك هذا الطريق في حياته،

---

(١) الإسراء: ١.

وبالتـالي إذا أخبرهـم بمشاهداته التي يعرفونها يكون الأمرُ أقرب للتصديـق، وبذلك تتهيّأُ النفسيَّةُ لقبول ما بعدها، والله العالم.

الإسراء و المعراج بالروح و الجسد:

أمّـا السـؤال الثاني، فإنّ رحلة الرسول الأكرم ﷺ في الإسـراء والمعراج كانت بالروح والجسد، ولو كانـت المسألة مقتصرة على السفـر الروحيِّ فقط لفقدت إعجازها أصلاً ولـمـا استدعت افتتاح الآية الكريمة بلفظ التنزيه والتقديس، فلا يحتاج عرضُ الحلم أو الرؤيا إلى استباقِهِ بلفظ سبحان الله أو سبحان... أو غير ذلك من التقديسات، ولأنّ الناس يألفون هذه المسائل فالنائم قد يرى في منامه أنّه قطع مسافات، ووصل إلى بلدان كثيرة، وتنطبع في ذهنه صورة تلك البلدان ولو إجمالاً ويرى مشاهدَ كثـيرةً، وكُلُّ ذلـك في ثوانٍ معدودات، فأيـن الإعجاز في رحلة الإسراء إن كانـت المسافة التي تقطعها الروح مسافة أربعين ليلة في حين أنّ الروح في الحلم قد تقطع مسافة سنين.

وبالإضافـة إلى ذلك، فإنَّ الأدلَّـة تدلُّ على أنّ الرحلة كانت جسمانيّة، وبوعي كاملٍ عنده ﷺ ، ومن هـذه الأدلـة الشاهدة: صراحة ما تدلُّ عليه كلمة (بعبدِهِ) الـواردة في الآية، وكذلك ما جاء في سورة النجم في الآيات ١٣-١٨ والتي عدَّدت مشاهد ومقاطع من تلك الرحلة العظيمة، وأشارت إلى حقيقة ﴿**مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى**﴾.[٢]

---

(٢) النجم: ١٧.

أسئلة الدرس

١. *كيف تستدل على إعجازيَّة الإسراء والمعراج من خلال الآية الأولى من سورة الإسراء؟*

....

....

....

....

٢. *بيّن مسير رحلة الإسراء والمعراج التي قطعها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم؟*

....

....

....

....

٣. *هناك من ادّعى كون الإسراء والمعراج بالرّوح فقط، فكيف تردّ على هذا الادّعاء؟*

....

....

....

....

١٢

الدرس الثاني عشر

الاستغفار أمان ونعيم لأهل الأرض

الدرس الثاني عشر

الاستغفار أمان ونعيم لأهل الأرض

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ❖ يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ❖ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾ (١)

دعوة النبي نوح عليه السلام إلى قومه:

تتناول هذه الآيات موقفًا من المواقف التي خاضها نبي الله نوح عليه وعلى نبينا وآله أفضل الصلاة والسلام مع قومه الذين تميَّزوا بالعناد الشديد، وبعث اللهُ فيهم أنبياء قبله فكذبوهم ولم يؤمنوا لهم، وكذلك تكرَّر المشهدُ مع نوح عليه السلام؛ والذي لبث فيهم تسعمائة وخمسين عامًا، يدعوهم إلى توحيد الله ونبذ عبادة الأصنام وترك الكفر، لأنَّ الكفر ممَّا يوجبُ العذابَ الأليم، ولكنَّهم غرقوا في بحر غيِّهم وفُسقِهم وكفرهم، فاستحكم عليهم الشيطان فَعموا وصمّوا عن سماع صوت الحق، ولم يتدبَّروا في أمرِ هذا الكونِ أو يتفكَّروا في عاقبتهم أو يتَّعِظوا بحالِ من مضى قبلهم.

ترغيب النبي نوح عليه السلام لقومه:

وكان من سعيِ نوحٍ عليه السلام هو ترغيبهم بكلِّ ما يتحصَّلُ مع المتعة والسعادة دنيا وآخرة، وذلك ليحمِلَهُم على عقيدة التوحيد، ويستنقذهم من الظلمات والعناد الذي كانوا عليه، وخاطبهم: إنَّ كلَّ ما عليكم هو العودة إلى الله والاستغفار والتوبة، وإنَّ ذلك كفيلٌ بأن تنعموا بالخير الكثير وتكونوا أغنى الأمم... حيث وفرة المياه وكثرة الزرع والشجر، ويكثِّرُكُم بأن يجعل لكم من البنين والحفدة ما تتواصل به سعادتُكُم وحياتُكُم... وغير ذلك من النعم المادية؛ التي يمكن أن تُحرِّك فيهم دوافعهم نحو الإيمان إذ في مثل حالِهِم وموقفِهِم لا ينفع معهم الترغيبُ المعنوي.

<u>ويمكن أن نستوحي نقاطًا مهمةً أيضًا من جوِّ هذه الآيات المباركة:</u>

١- إنَّ قوم نوحٍ كانوا يعيشون في ضيقٍ من الثروات، وإلاّ لما كان في ترغيبهم فائدة.

---

(١) نوح: ١٠ -١٢.

٢- إنَّ نقص الثرواتِ والخيراتِ قد يكونُ عقوبةً إلهيةً؛ للتضييق على الكافرين؛ لعلهم يرجعون إلى رشدهم ويؤمنون، كما إنَّه قد يكون امتحانًا للمؤمنين؛ ليرى صبرهم وثباتهم.

٣- إنَّ الإيمان باللّه والاستغفار هو مفتاحُ جلبِ الخيرات وفتحِ الأرزاق، وإنَّ الإنسانَ مهما امتلك من قوَّةٍ فإنَّه لا يتمكن من التحكُّمِ في هذا الأمر، فاللّهُ وحده هو القادر على فتحِ باب العطاء.

٤- إنَّ اللّه تعالى قد أحكم الكون بسننٍ وقوانينَ مرتبطة مع بعضها ترابطًا وثيقًا، فهناكَ علاقةٌ متينةٌ بين القوانينِ التكليفيّةِ للعباد والقوانين الماديّة الطبيعية الحاكمةِ للكون، وكذلك مع القوانينِ الغيبيةِ التي هي مصدرُ القوة، ومفتاحُها هو الإيمان والالتزام بالقوانين التكليفيّة.

العلاقة بين الأعمال و العطاء الإلهي:

هناك علاقة بين الأعمال والعطاء الإلهي؛ وإلاَّ ما علاقة الاستغفار بإدرار السماء ماءً عذبًا فراتًا؛ يسقي الأرض والزرع فتخضرَّ به الأرضُ وتنبتُ من كلِّ زوج بهيج؟. وبالماء تستقيمُ حياةُ الإنسانِ؛ لقوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**﴾[٢] ، ومع الرخاء والاستقرار يأتي الغنى والفسحة في الحياة.

إنَّ العلاقة تكشفها القوانين الغيبية، فاللّهُ وحده هو القادر على البسط والرزق أو الحبس والمنع والتضييق؛ بحسب حالِ وشأنِ هذا الإنسان، فالكونُ كُلُّهُ بقبضته سبحانه.

وقد ضرب اللّهُ أمثلةً كثيرةً؛ ليؤكد هذه الحقيقة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ❖ وَلَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**﴾[٣].

---

(٢) الأنبياء:٣٠.

(٣) النحل: ١١٢- ١١٣.

أسئلة الدرس

١. *الاستغفار اللفظي للإنسان التائب إلى الله توبة نصوحا له أثر في تحريك القوانين الغيبية.. وضّح ذلك.*

....

....

....

....

٢. *للكفر بالله عزّ وجلّ آثار وخيمة على الكافرين من حيث نزول العذاب عليهم سواء كان جوعًا أو خوفًا، ورغم ذلك فلهذا العذاب وجه إيجابيّ فما هو هذا الوجه كما فهمت من الدرس؟*

....

....

....

....

١٣

الدرس الثالث عشر

المنافقون بين حسن الظاهر وخبث السريرة

الدرس الثالث عشر

المنافقون بين حسن الظاهر وخبث السريرة

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ❖ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ❖ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (١)

صفة المنافقين:

تتحدث هذه الآيات المباركات عن نموذج من النماذج الشاذة في المجتمع الإنسانيّ، وذلك من خلال كشف المواقف الفكرية والعملية أمام قضية الإيمان والكفر.

وهذا النموذج تمثِّله فئةُ المنافقين؛ فهم الذين يعيشون الازدواجيَّة في المواقف بين حقيقة ما يضمرونه في أعماقهم ودواخل أنفسهم وبين ما يظهرونه للناس؛ بحيث تكون معرفتهم وكشفهم للناس أمرًا معقَّدًا، لأنَّ عمليَّة الكشف تحتاج إلى رصدٍ دقيقٍ لأقوالهم وأفعالهم... ولهذا فقد أشار القرآن الكريم إلى صفات المنافقين حتَّى يسهلَ على النّاس كشفَ واقِعِهم وحقيقتِهِم، وذلك ليحذَروهم؛ لأنهم يمثِّلون خطرًا عظيمًا يمكن أن يفتك بالمجتمع، لذلك جاء في القرآنِ الكريمِ قولُهُ تعالى: **﴿...هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾**(٢)

أهداف المنافق:

والآية الكريمة تُشيرُ إلى إعلانِ المنافقين كلمةَ الإيمانِ للنّاس، وأنَّهم يتخذونها شِعارًا؛ ليطمئنَّ لهم الناس، ويفسحوا لهم مجال التحرُّك بحريَّةٍ في مجالاتِ الدسِّ والتضليلِ ونشرِ الأمراض الاجتماعية، فهم يعملون عملَ المُخادعِ الذي يصِلُ إلى غرضه بطرقٍ خفيَّةٍ وخداعٍ ومخاتلة، ولكنَّ جهودَهم كُلَّها

(١) البقرة: ٨-١٠.

(٢) المنافقون: ٤.

تذهــبُ هبــاءً؛ لأنَّ اللهَ كاشفهم، فهم قد غاب عــن بصائرهم أنَّ الله يعلمُ خائنــةَ الأعينِ وما تُخفي الصُــدور، وما حركتُهُــم إلاّ تعبير عن عمقِ المرض في داخل أنفسهم، فهم لا هدف ولا رسالة لهم، ولا يعيشــون إلاَّ الغفلة، ولا يسعَونَ إلاَّ لتحصيلِ المنافــعِ الدنيويَّة الزائلة، فالمنافقُ وإن اتخذَ شعارَ الإيمانِ والجهــاد، إلاَّ أنَّــه في حقيقته يعيشُ الفسادَ، وهــو يحسب أنَّهُ يُحسِنُ صُنعًا، فقــد يقتلُ ويسلبُ وينهبُ باســم الجهاد والإســلام مقابل حطام الدنيا، ويذهب بالحقوق عن مواقعهــا... ولذلك توعَّدهُم اللهُ تعالى بالعذابِ الأليم؛ لأنَّ حركتهم تمثِّلُ فسادًا وإفسادًا في المجتمع.



أسئلة الدرس

١. ***لِمَ أشار القرآن الكريم إلى صفات المنافقين وركّز على بيانها دون بقيّة الأفراد المنحرفين عن خط الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم؟***

....

....

....

....

٢. ***ما العاقبة المخزية التي توعَّدَ الله عزَّ وجلَّ عليها المنافقين؟ ولماذا هذا العاقبة؟***

....

....

....

....

١٤

الدرس الرابع عشر

الهداية الربانية بين الأنبياء والأئمة ١

الدرس الرابع عشر

الهداية الربانية بين الأنبياء والأئمة ١

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [1]

عناد الكفار:

لقد تمادى الكافرون في غيِّهم؛ بحيث لم يكتفوا بما جاءهم من الآيات والنذر، فطلبوا المزيد من الآيات، وهذا الطَّلبُ ليس من قبيل طلبِ الهداية والاطمئنان... إنَّما هو طلبٌ من أجلِ العنادِ والمكابرةِ؛ الناتج عن الاستغراق في حالة الكفر.

لذلك نجد القرآن الكريم يتحدث عنهم بعبارة ويقول: الذين كفروا، ولم يشر إليهم بأنَّهم يطلبون الإيمان والهداية والمزيد من النور، فلقد نزلت الآياتُ وأوصلت، إلاَّ إنهم متمادون في كفرهم وغيّهم، فهم لا يكفيهم ما عندهم من الآيات فيطلبون الزيادة عنادًا واستخفافًا ولعدم اعتقادهم بالآيات المنزلة عليهم، ولذلك قالوا ﴿ لَوْلا ﴾وهنا استخدموها بمعنى هلاّ أي للتحضيض على الطلب للمزيد من الآيات كالذي جاء به موسى وعيسى عليهما السلام.

إقامة الحجة على الكفار:

ونتيجة لما أنزل من آيات وما جاء لهم من النذر، فإنَّهم قد أقيمت عليهم الحجةُ والبرهانُ وإنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما هو إلاَّ نذيرٌ لقومه ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ أي مُرسلٌ للإنذار كغيرك من الرُّسُل وما عليكَ إلاَّ الإتيان بما هو متعلق بنبوَّتِكَ من المعجزات، لا بما يقترح هؤلاء، ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ أي لكُلِّ أُمَّةٍ وقومٍ هادٍ يهديهم ويتولّى أمرهم ويدعوهم إلى الصواب، والسؤال هنا: من هو الهادي للناس أو للقوم بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم؟

---

(١) الرعد: ٧.

صفات الهادي:

إنَّ الهـادي للقـوم الذي عنته الآيـة الشريفة هو من يخلـف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويسدَّ مسـدَّه في التبليغ والهدايـة، فالخليفـة الشرعيُّ هو الذي تتوفر فيـه كُلَّ صفاتِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ ما عـدا صفة النبوة ـ، لأنَّ الذي مهمته الهداية والناسُ مأمورون بالاقتداء به لابُدَّ وأن يكون واجدًا للكمالات الخاصّة والمؤهلاتِ التي تناسب مهمته.

توضيح الروايات للمنذر و الهادي :

وقـد جـاء في الرواية قول أمير المؤمنين عليه السلام: فينا نزلـت هذه الآية ﴿...**إِنَّمَـا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِـكُلِّ قَوْمٍ هَـادٍ**﴾، وجاء عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قوله: "أنا المنـذرُ وأنت الهادي يا علي، فمِنّا الهادي والنجاة والسعادة إلى يوم القيامة".

وجـاء في روايـةٍ يذكرهـا صاحبُ شواهدِ التنزيـل أبو القاسـم (الحسكاني) بإسناده عـن أبي بردة الأسلمـي قـال: "دعا رسول الله بالطهـور وعنده علي بن أبي طالب عليه السلام فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد علـيٍّ عليه السلام بعدما تطهَّـرَ فألزقها بصدره ثُمَّ قال: إنَّما أنتَ منذر - يعنـي نفسه- ثُمَّ ردَّها إلى صدرِ علـيٍّ عليه السلام ثم قال: ولِكلِّ قومٍ هاد، ثُمَّ قـال: إنَّكَ منارُ الأنامِ، وغاية الهدى، وأمير القرى أشهدُ على ذلك أنَّك كذلك".

عـن الإمـام أبي جعفر الباقر عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿...**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ أنَّ رسول الله قال صلى الله عليه وآله وسلم هو المنذر، ولِكُلِّ زمانٍ إمامٌ مِنّا هادٍ يهديهم إلى ما جاء به نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ الهداة من بعده؛ عليّ ثُمَّ الأوصياء واحدًا بعد واحد.

وعن عبد الرحيم القصير قال: كنت يومًا من الأيام عند أبي جعفر عليه السلام فقال: يا عبد الرحيم. قلتُ: لبَّيـك، قـال: قول الله ﴿**إِنَّمَا أَنـتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَـوْمٍ هَادٍ**﴾ [٢] إذ قال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا المنذرُ وعليٌّ الهادي، ومن الهادي اليوم؟.

قـال: فمكثت طويلاً ثم رفعتُ رأسي فقلتُ جعلتُ فِداكَ فيكم توارثونها رجل فرجل حتى انتهت إليك، فأنت جُعِلتُ فداك الهادي.

قال: صدقتَ يا عبد الرحيم، إنَّ القرآنَ حيٌّ لا يموتن والآيةُ حيَّةٌ لا تموت، وقال عبد الرحيم: قال أبو

(٢) الرعد:٧.

عبـد الله عليه السلام: إنَّ القـرآن حيٌّ لم يمـت، وإنَّه يجري كما يجري الليلُ والنّهـار، وكما يجري الشمس والقمر، ويجري على آخِرنا كما يجري على أوّلنا.

وعـن حنّان بـن سدير عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: "سمعته يقول في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّمَـا أَنـتَ مُنـذِرٌ وَلِكُلِّ قَـوْمٍ هَادٍ**﴾، فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا المنـذر وعليٌّ الهادي وكلُّ إمامٍ هادٍ للقرنِ الذي هو فيه".



أسئلة الدرس

١. ***عندما خاطب المولى سبحانه نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: "إنّما أنّت مُنذر" أي مُرسَلٌ للإنذار كغيرك من الأنبياء و" لكلّ قومٍ هاد"، والسؤال هنا: من الذي سيتولّى هداية الناس بعد رسول الله؟ وهل يشترط فيه شروط معيّنة، أم يكون من عامّة النّاس الصلحاء؟ وما دليلك؟***

....

....

....

....

٢. ***لماذا تعتبر العصمة في الأئمة عليهم السلام من الضروريات التي لا يمكن انفكاكها عنهم؟ وما الدليل على ذلك؟***

....

....

....

....

١٥

الدرس الخامس عشر

الهداية الربانيّة بين الأنبياء والأئمة ٢

الدرس السابع عشر

الهداية الربانيّة بين الأنبياء والأئمة

وفي هــذه الآية الشريفة ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[1] ، والروايات المتقدّمة في الدرس السابق وقفتان:

الأولى تتعلق باستمرار خط الهداية، والثانية تتعلق بشروط الهادي.

فبخصوص الوقفة الأولى: نلاحظ التعبير القرآنيَّ الذي يؤكِّـدُ استمراريَّةَ دور الهداية وقيام الهــادي في كلِّ قــوم، فبعد أن بلّغَ الرســولُ صلى الله عليه وآله رسالتَه وقام وأنذر، جاء دور الهــادي للقوم، والذي نصَّــت عليه كلُّ الروايات وهو علــي عليه السلام ثُمَّ من بعده الأئمة الهداة الميامــين واحد بعد واحد، وذلك بحسب تعبيرِ الروايات الشريفة أنَّ كُلَّ إمامٍ هو هادٍ للقرنِ الذي هو فيه، أي للعصرِ الذي هو فيه، وبَما أنَّ القرآن حيٌّ لا يموت وهو قد نطق صدقًا وحقًّا أنَّ لِكُلِّ قوم هاد، فإنَّه من المستحيل أن يأتيَ زمانٌ لا هــاديَ فيهِ يحمِلُ النّاسَ على خطِّ الهدايةِ ويوجِّههُم نحو الفلاحِ والنجاح، فمن هو الهادي للأمَّة بعد رحيلِ الأئمــةِ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهــم، إذ لا يُعقَلُ أن تُتركَ الأُمَّةُ بلا قائــدٍ يهديها، خصوصًا أنَّ القرآنَ قد أكَّدَ على هذه الحقيقة؛ وهي أنَّ لِكُلِّ قوم هاد.

فتكــونُ النتيجة أنَّ الهادي للأمّةِ في عصرنا هذا هو الإمــامُ المعصومُ المهديُّ المنتظرُ صاحبُ العصرِ والزمان(عجــل الله فرجه). فالآية دالةٌ على وجوده، وكما بشّرَ به الرسولُ الأعظم صلى الله عليه وآله وخصوصًا في قوله صلى الله عليه وآله: "إنّي تاركٌ فيكُم الثقلين؛ كتابَ الله وعترتي أهلَ بيتي، وهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض".

فعــدم وجــود الإمام عليه السلام يعني تحقيق الافتراق، وعــدم وجوده يعني خلوّ الزمــانِ من الهادي، وهي خلافُ النصِّ القرآنيِّ، وخلافُ قولِ الصادقِ الأمين صلى الله عليه وآله.

أمّا الوقفة الثانية فهي متعلقة بشروط الهادي، إذ لا يُعقلُ أن يُترَكَ الأمرُ لأيِّ فردٍ أن يمارس هذا الــدور، فيكون ذلك نقضًا للغرض، إذ الغرضُ هو الهدايــة، والهدايةُ لا يمكن أن تتحققَ إلاَّ من خِلالِ

---

(١) الرعد:٧.

شخصيةٍ تتوفَّرُ فيها الصفاتُ الكاملةُ لممارسةِ دورِها، ومن هذه الشروط: أن يكونَ عالمًا بكُلِّ تفاصيلِ الشريعةِ، وما يحتاجهُ الناسُ في حياتهم، وأن يكونَ متبوعًا لا تابعًا، وأن يكون معصومًا.

فما هي العصمة؟ وما الدليل على وجوب وجودها في الهادي والنذير؟

العصمة: هي حالة المصونيَّة التي تمنعُ من الوقوع فيما لا يجوز من الخطأ والعصيان حتى ولو على مستوى الإخطار القلبي، وذلك لأنَّ المعصية إنَّما تحدثُ أو تقعُ من شخصٍ أو تخطُرَ على بالِ أحدٍ نتيجةً لعدمِ العلمِ الكاملِ أو لعدمِ انكشافِ الحقيقةِ له، أمّا المعصوم فعِندَهُ حالةَ انكشافٍ كاملٍ للأمورِ، وهو يَعلَمُ بكُلِّ حقائقِ الأمور، فلا يقعُ في هذا الخطأِ أو العصيان.

ومن الطبيعي أنَّ الذي يكونُ هاديًا أو مُبشِّرًا ونذيرًا لا بُدَّ له من أن تتوفَّر فيه حالةُ المصونيَّة الكاملةِ حتّى يتمكنَ من حملِ الناس على الهداية وذلك:

١- أنَّهم مختارون ومصطفون، ولا يعقل أن يتمَّ اختيارُ واصطفاءُ من لا تتوفر فيه الأهلية.

٢- أنَّ الناس مأمورون بالاقتداء والتأسّي بالهداة والقادة، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾[٢].

وعلى ذلك فلا يجوز صدور المعصية من هؤلاء الهداة، ولو جازت المعصية على المتصدي لهداية الناس لما أمكن الوثوق به، فلا يتحقق الغرض من نصبه هادياً للناس من قبل الله الحكيم تبارك وتعالى. ولو صدرت عنهم المعصية ولو سهوًا لما جاز الاقتداء والتأسي بهم.

٣- إنَّ الله تعالى بعثَ الأنبياء بالحق، وأنزل معهم الكتاب، وهذا الإنزالُ لا يكون إلاَّ بالوحيِ، وإنَّهم مسؤولون عن الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، فلا يعقل أنَّ الله تعالى يُريدُ للناس الاستقامة وتحقيق العدالة عن طريق وسائل تبليغية هي تمارسُ الخطأ أو قابلة للخطأ، واللّهُ تعالى يريدُ أن يُلقيَ الحجة ويقطعَ العذرَ فيما فيه المخالفة والمعصية، وأن لا قاطع لهذا العذر إلاّ الرسل والهداة، ومعلوم أنَّ قطعَ الأنبياء والهداة لعذر الناس إنَّما يتمُّ إذا لم يتحقَّق منهم ما لا يوافق إرادة الله ورضاه؛ من قولٍ أو فعلٍ للخطأ والمعصية.

---

(٢) الأحزاب: ٢١.

٤- إنَّ الله تعــالى قد نهى عــن إطاعة الآثمين والكافرين، قال تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً**﴾[1]، فلو جاز عن النبيِّ أو الإمام (المنذر أو الهادي) المعصيةَ لكانا من الآثمين، وحينهــا يلتــزم اجتنابه وعدم طاعته، والله تعالى يقول: ﴿...**وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**...﴾ويقول ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ**...﴾[2]



أسئلة الدرس

١. *عندما خاطب المولى سبحانه نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: "إنّما أنت مُنذر" أي مُرسَلٌ للإنذار كغيرك من الأنبياء و" لِكُلّ قوم هادٍ" ، والسؤال هنا: من الذي سيتولّى هداية الناس بعد رسول الله؟ وهل يشترط فيه شروط معيّنة أم يكون من عامّة النّاس الصلحاء؟ وما دليلك؟*

....

....

....

....

٢. *لماذا تعتبر العصمة في الأئمة عليهم السلام من الضروريات التي لا يمكن انفكاكها عنهم؟ وما الدليل على ذلك؟*

....

....

....

....

(١) الإنسان: ٢٤.

(٢) آل عمران: ١٣٢.

١٦

الدرس السادس عشر

الفتح المبين وانطلاقة الدعوة إلى اللّٰه

الدرس السادس عشر

الفتح المبين وانطلاقة الدعوة إلى الله

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾(١)

آراء حول الآيات:

قال بعض المفسِّرين إنَّ المقصود بالفتح هنا هو: خصوص فتح مكة، وقال آخرون أنَّه فتحُ خيبر وفدك، وقيل إنَّه إخبارٌ عن صلح الحديبية، والذي مثَّلَ انتصارًا سياسيًّا سبق فتح مكة ومهَّدَ له، وسُمّيَ هذا الصلح فتحًا لأنَّه جاء بعد أن أظهر اللهُ تعالى نبيَّه على المشركين فطلبوا الصلح، وكان هذا الصلحُ هو المؤسِّسُ والممهِّدُ لفتحِ مكة في السنة الثامنة من الهجرة النبوية المباركة، والصلحُ كان في السنة السادسة منها.

والرأي الذي يذهب إلى أنَّ المقصود منه صلح الحديبية يستند إلى حقيقةِ أنَّ حركةَ الرسولِ الأعظم ﷺ كانت لفتحِ الطريقِ لدعوةِ الحقِّ والإسلامِ والسلام، ولذلك فهي لا تجنحُ للقتال والسيف والدماء، وإنَّما كُلَّما أمكنَ فتح الطريق من دون مواجهةٍ كان ذلك هو المُقدّم، ومن هنا حرص الرسولُ الأكرمُ ﷺ على أن يكون فتحُ مكة بعد ذَلِكَ من دون إراقةِ الدماء، وأصدر عفواً عامّاً حين تمكَّنَ من فتحِ طريقِ الدعوةِ إلى مكة، وأدخل في الإسلام خلقًا عظيمًا.

معنى الفتح:

وقيل إنَّ معنى الفتح هو القضاء، وتقديرُ الآيةِ الكريمةِ إنّا قضينا لكَ أن تدخلَ مكّة.

ورويَ أنَّ الرسولَ ﷺ لمّا رجع بعد صلحِ الحديبيةِ قال رجلٌ من أصحابه: ما هذا بفتح، لقد صُددنا عن البيتِ وصُدَّ هديُنا، فقال ﷺ: بِئسَ الكلام هذا، بل هو أعظمُ الفتوح، قد رضي المشركونَ أن يدفعوكم عن بلادهم بالتراح ويسألوكم القضيَّةَ ويرغبوا إليكم في الأمانِ، وقد رأوا منكم ما كرهوا.

---

(١) الفتح: ١-٢.

قيمة صلح الحديبية:

وقد عُدَّ هذا الصلح هو الفتح العظيم؛ لتمهيده فتحَ مكةَ عسكريًّا بعد ما فُتِحت سياسيًّا، هذا من جهة، ومن جهةٍ أُخرى انطلق منه الانتصار الإسلاميُّ وانتشر الدينُ في الجزيرة العربية، إضافة إلى ذلك فإنَّ الإسلامَ باعتباره حركة ناشئة في وسط بيئةٍ تتميزُ بالكفرِ وعبادة الأصنام... فهو يعاكس حركة المجتمع في أفكاره وعاداته ومعتقداته، لذا فإنَّ هذه الحركة إذا ما أُريدَ لها أن تُثبِّتَ نفسها فعليها السعي لتحصيلِ الاعتراف من المجتمع المحيط؛ حتى يتسنّى لها التحرك في ظهورٍ وجلاءٍ، وبكلِّ حريَّةٍ وأمان، وهذا ما حصل بالتحديد، فلقد اعترفت قريشُ وحلفاؤُها بالدولة الفتيَّةِ كأمرٍ واقع، وقد تجلَّى هذا الاعتراف في بنودِ الصلحِ وخصوصًا في البند الذي يقول: من أراد من القبائل الانضمام إلى الرسول ﷺ والتحالف معه أو الانضمام إلى قريش والتحالف معها فله ذلك، وهذا يعني أنَّ هناك قوَّتَينِ ظاهرتَينِ وللآخرين الحريَّةُ في اختيارِ القوةِ التي يريدون الدخول في التحالفاتِ معها أو الانضمام إليها.

معطيات الفتح:

وكان الرسول ﷺ على يقين بأنَّ قريش لن تلتزم بعهودها، وبذلك توجِدُ المبرِّرَ للتحرُّك العسكري لفتحها عنوة. ومن المعطيات الهامَّة لهذا الفتح ما جاءت به الآية الكريمة ﴿**لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** ....﴾ (٢)

معنى ليغفر لك الله ...

وذلك من بابِ إتمامِ النعمةِ والإظهارِ الإلهيِّ والعلوِّ الذي وعد به رسولَهُ وعباده المؤمنين، وقد اختلف المفسِّرون في معنى الذنب بالنسبة للرسول الأعظم ﷺ، فمنهم من قال إنَّ للرسول ﷺ ذنوبًا كانت قبل الدعوة فغفرها الله له، وغفر له ما تأخَّر منها، وهذا الرأي واضح البطلان إذ لا يُعقَلُ أن يكون الرسول ﷺ مُذنِبًا وهو الذي أقرَّت بفضله حتى فراعنة قريش، فكانوا يلقِّبونَه بالصادقِ الأمين...

وقال آخرون إنَّ الرسول ﷺ لم يذنب، إنَّما الذنب والغفران هو متوجِّهٌ للأمة التي سأل رسول الله ﷺ ربه أن يغفر لها فأجابه الله لذلك فكانت هذه الأمة هي الأمة المرحومة.

(٢) الفتح:٢.

إنَّ كلمة الذنب ليست بمعنى المعصية، فالآية تتحدث عن أنَّ فتح مكة تمَّ بفضل الله تعالى ليغفر للنبي ﷺ، فمـا علاقـة الفتح بغفران الذنب؟ !! هذا يؤكِّد أنَّ "الذنـب" ليس بمعنى المعصية، وإنَّما كان الذنـب المشـار إليه في الآيـة الكريمة هو ما كان ذنباً بنظـر المشركين، فالآية تشـيرُ إلى ما كان عليه المشركـون والكافرون من موقف مُعادٍ للنبي ﷺ والرسالة الإسلاميـة إذ عدّوها ذنبًا، وأنَّ الرسول ﷺ كان بنظرهـم مُذنبًـا لأنَّه خرج على معتقداتهم وأفكارهم، وتمـرَّدَ على الواقع الفاسد القائم، وهـذا الذنبُ الذي بنظرهم قد تغيَّر وصار أمـرًا واقعًا بعد الصلح فارتفع التصور وغُفِرَ الذنبُ الذي في نظرهم.

فالذنبُ هو عبارة عن التبعات السيّئة في نظر المشركينُ والمآخذ التي جعلتهم يتحاملون بها على النبي ﷺ فصاروا يطالبونه بذنوبٍ لم يرتكبها، وهذ من قبيل قولِ النبي موسى عليه السلام لربِّهِ ﴿**وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ**﴾ [1]

وقـد سأل المأمون العباسي أبي الحسن الرضـا عليه السلام، فقال له: يا ابن رسول الله أليس من قولك إن الأنبياء معصومون؟ قال عليه السلام: بلى، قال: فما معنى قول الله ... وتلا الآية إلى أن قال: ﴿**لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** ....﴾ فقال الرضا عليه السلام: لم يكن أحد عند مشركي مكة أعظم ذنبًا من رسول الله ﷺ لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنمًا فلما جاءهم بالدعوة إلى كلمة الإخلاص. كبر ذلك عليهم وعظم ﴿**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ❖ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ❖ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ**﴾[2]. فلمّا فتح الله تعالى على نبيه ﷺ مكة قال له: يا محمد ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ❖ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** ....﴾ عند مشركي أهل مكة بدعائك إلى توحيد الله فيمـا تقـدم وما تأخر لأن مشركي مكة أسلم بعضهـم وخرج بعضهم عن مكة، ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعا النَّاس إليه، فصار ذنبه عندهم في ذلك مغفورًا بظهوره عليهم، فقال المأمون: للّهِ درّك يا أبا الحسن.

---

(١) الشعراء:١٤.

(٢) ص: ٥-٧.

أسئلة الدرس

١. تعدّدت الآراء حول المراد بالفتح في الآية الشريفة، اذكر هذه الآراء مبيّنًا أرجحها مع التحليل.

....

....

....

....

٢. الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كسائر الأنبياء الذين سبقوه من حيث العصمة وعدم ارتكاب الذنب، فلماذا قال المولى سبحانه وتعالى له ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ....﴾؟

....

....

....

....